

حرية الثقافة والعولمة

الكاتب



باسمة يونس

د. باسمة يونس

تبرز العولمة والهوية الثقافية محلاً لنقاش ساخن تدافع فيه الشعوب عن هوياتها الثقافية والاجتماعية في العصر الجديد الذي استدعى ظهور هويات جديدة متجانسة جلبها التغيير الاجتماعي، ما قد يجعل الموقف بشأن العولمة والهوية الثقافية معقداً للغاية، وبحاجة إلى مزيد من الدراسات لتحليل آثار التنوع الثقافي والتعايش بين الهويات الثقافية المختلفة في مجتمعات اليوم.

ولكي نفهم العولمة بشكل أكثر دقة ومدى تأثيرها في الثقافة نحتاج إلى تكوين فكرة واضحة عن الثقافة، ومعناها، ولكي يتوضح لنا أيضاً كيف يمكننا التعامل مع ديناميكية العولمة المتسارعة. فالثقافة ليست جامدة كما يعتقد البعض، بل تتغير مع تغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومع اتصالها بالثقافات الأخرى من خلال العلاقات التجارية أو السياسية، لكنها في الأساس تبنى من قبل الناس الذين يختارون ما يقبلونه وما يرفضونه، أو حتى ما يقومون بدمجه منها في ثقافتهم.

وقد تعكس العولمة إلى حد ما، نظرية التقارب والسيطرة المستحكمة بسبب هيمنة العلم والتكنولوجيا والتنمية الاقتصادية، لكن العولمة في الواقع تعزز الهوية الثقافية في العصر الجديد، وتجلب وعياً أكثر من المتوقع، فهي وإن عكست نوعاً من التقارب يخشى الناس أنه يذوبهم ثقافياً، لكنها وبمعنى أعمق تجعل الناس أكثر اهتماماً بثقافتهم لأنها تزيد لديهم الشعور بالذات، والمجتمع، والأمة.

ولا يتعارض معنى العمل الجماعي المصاحب للعولمة، على الإطلاق، مع التنوع، بل يمكن أن يشكل تفاعلاً مثمراً، ويجعل العالم أكثر تنوعاً وتعاوناً ومشاركة من دون خوف من انصهار الهويات، فالناس يبنون هوياتهم ويختارون

أسلوب حياتهم بحرية مطلقة، ما يجعلهم مستعدين للدفاع عنها بقوة

لقد تواصلت المجتمعات البشرية في جميع أنحاء العالم على مدى قرون عدة، وربما تكون زيادة وتيرة التواصل مؤخراً، وبشكل كبير بعد أن حولت ثورة الاتصالات العالم إلى قرية صغيرة وجعلت الشركات متعددة الجنسيات من العالم سوقاً واحداً وأكثر ترابطاً من أي وقت مضى، سبباً في القلق، لكن الناس مستمرين في البحث عن جذورهم الثقافية والدفاع عنها. ومع احترام تنوع الشعوب وثقافتهم الذي يؤدي إلى مجتمع عالمي جديد يتسم بالوحدة، لكن الثقافات تبقى مختلفة ومتعددة، وغير مذوّبة، أو محكومة بنوع واحد، وليست متجانسة تماماً، فلربما تتجانس السلع الاستهلاكية التي يستخدمها الناس في جميع أنحاء العالم بفرض من قوى السوق، لكنهم يستخدمونها بطريقتهم وحسب ثقافتهم، وبحريّة تامة، بغض النظر عن العوامل الخارجية

وخلاصة القول أنه لا يمكن للنزعة العالمية أن تقضي على التنوع الثقافي، لأن الناس يتمسكون بثقافتهم التي يضيفون بها طابعهم الإنساني والاجتماعي على ما حولهم، والعولمة لا تستطيع التحكم في ثقافة الناس، أو علاقاتهم مع بعضهم بعضاً، أو سلبهم حريتهم في البحث عن معنى وهدف في الحياة، بل يقتصر التجانس الذي أحدثته العولمة على المستوى المادي للسلع الاستهلاكية التي يستخدمونها لا أكثر

basema.younes@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024